تحليل سيكوسوسيولوجي

سلطة الرمز الديني في اللاوعي الجمعي العراقي... مقتدى الصدر انموذجا (1-2)

أ. د. قاسم حسين صالح
مؤسس ورئيس الجمعية النفسية العراقية
qassimsalihy@yahoo.com

الحلقة I

نعني بـ"الرمز " هنا شخصا حقيقيا أو افتراضيا ، حيا أو ميتا ، له قدرات استثنائية على انجاز مهمات وحلّ مشكلات ليس بمستطاع الفرد العادي تحقيقها، ويصبح الفرد والرمز حالة واحدة من خلال آلية نفسية هي التماهي او التوحّد(Identification). . أي اخذ صفة او اكثر من شخصية الرمز. . يتمثلها ويدخلها في شخصيته ليتشبّه بها، لا ليقلدّها!

تاريخيا، دخلت " فكرة " الرمز الى لاوعي الفرد يوم كان أجدادنا القدماء يؤمنون بقوى غيبية وكائنات خرافية لها فعل مؤثر في الكون والإنسان من قبيل: الزلازل ، الطوفان ، الرعد والبرق.

حتى اختلال عقل الإنسان أو إصابته بالجنون كان يخضع للتفسير ذاته. فأسلافنا كانوا يعالجون المجانين بفتح ثقوب في جماجمهم لتخرج الارواح الشريرة من ادمغتهم بالتخويف والتهديد. وما يزال بعض العراقيين يربطون المجنون (اي المصاب بالشيزوفرينيا) بشباك ضريح امام ليخرج الجني من رأسه، وشهدت بنفسي رجلا يضربه (السيد) بالسوط ويزعق بالجني ليخرج متوعدا اياه بقتله في مشهد ميلودرامي!.

ما حصل للعراقيين ان آلية التوحّد هذه انتقلت من التوسل بالرمز الديني لحل مشكلة صحية او اجتماعية الى التوسل به ان يخلّصهم من طاغية. . ابرزها ان جموع العراقيين كانوا في زمن النظام الدكتاتوري يقصدون اضرحة الأئمة يدعونهم لأن يخلصونهم من صدّام.

وقبلها، كنّا اجرينا دراسة زمن الحرب العراقية الايرانية لرسائل كانت مرمية في ضريحي الامامين الكاظم في الكاظمية وابي حنيفة في الاعظمية، وجدنا ان مطالبها كانت من اختصاص وزارات الدفاع والداخلية والصحة: عودة اسير من سجون ايران، اطلاق سراح معتقل في بغداد، شفاء مريض، طلب انجاب لزوجات مضى على زواجهن سنوات. . وتليين قلوب الأهل للزواج من المحبوب!

المفارقة، ان سلطة الرمز الديني هذه يفترض ان تضعف في زمن النظام الديمقراطي، وما حصل هو العكس، فلدى متابعتنا لمقابلات أجرتها قنوات فضائية مع زائرين وزائرات لضريح الامام موسى الكاظم في (2007/8/9) وجدنا أن لديهم حاجات يأملون تحقيقها من هذه الزيارة حددوها في إجاباتهم على ألسنتهم بالأتي :

- (نريد الأمان. . أولادنا تكتلوا " قتلوا " واحنه عايشين بخوف والى متى نظل اليطلع من بيته ما يدري بروحه يرجع لو يموت.
- ونريد الكهرباء. . الله أكبر طكت أرواحنا.
- ونريد السياسيين يتصالحون ويديرون بالهم على الشعب مو يظلون يتعاركون على الكراسي والشعب حال الضيم حاله. . يزي عاد تره شبعنا تعب.). . مع أن الأمام موسى الكاظم لا

نعني بـ"الرمز " هنا شخصا حقيقيا أو افتراضيا ، حيا أو ميتا ، له قدرات استثنائية على انجاز مهمات وحلّ مشكلات ليس بمستطاع الفرد العادي تحقيقها

تاريخيا، دخلت " فكرة " الرمز الى لاوعي الفرد يوم كان أجدادنا القدماء يؤمنون بقوى غيبية وكائنات خرافية لها فعل مؤثر في الكون والإنسان من قبيل: الزلازل ، الطوفان ، الرعد والبرق

حتى اختلال عقل الإنسان أو إصابته بالجنون كان يخضع للتفسير ذاته. فأسلافنا كانوا يعالجون المجانين بفتح ثقوب في جماجمهم لتخرج الارواح الشريرة من ادمغتهم بالتخويف والتهديد

ما حصل للعراقيين ان آلية التوحّد هذه انتقلت من التوسل بالرمز الديني لحل مشكلة صحية او اجتماعية الى التوسل به ان يخلّصهم من طاغية

المفارقة، ان سلطة الرمز الديني هذه يفترض ان تضعف في زمن النظام

علاقة له بهذا الموضوع، بل أن جده الأمام الحسين لو خرج الآن متوجها الى الخضراء مطالبا بالاستجابة للمطالب المشروعة للمتظاهرين لخيروه بين العودة من حيث اتى او القتال.

وقد يبدو اللاوعي الجمعي لكثيرين أشبه بشخص (فاقد الوعي)، غير انه يعمل بآليات توحي بعكس ذلك، نوجزها بالآتي:

1. يغلّب العقل الانفعالي على العقل المنطقي في سلوك الفرد والجماعة، ويعطّل العقل المنطقي في اوقات الأزمات. (بيوم واحد من شهر تموز 2005 بلغ عدد القتلى بالاحتراب الطائفي في العراق مئة ضحية!،)
2. يستقطب الناس في مجموعتين متضادتين، جماعة الـ" نحن" التي ينتمي لها وجماعة الـ"هم " الاخرى.
3. يتصف بأنه (أحول عقل). . يرى في الـ(نحن)الايجابيات ويغمض عينه عن السلبيات، ويرى في الـ(هم)السلبيات ولا يرى الايجابيات. . ويخرج بتعميمات خاطئة أن جماعته هي الأفضل في كل شيء.
4. يفهم الصراع على انه (أكون أو لا أكون)، وأنه اما غالب أو مغلوب، ولا يرى الجانب الايجابي في الصراع
5. يؤمن بفكرة (المخلّص). . وبأنه سيظهر في يوم ما شخص بمواصفات استثنائية يقيم العدل بين الناس.

ومن مفهوم اللاوعي الجمعي هذا ، الذي غفل دوره السياسيون والباحثون، ظهر مفهوم السلوك الجمعي COLLCTIVE BEHAVIOR ويقصد به (السلوك غير المنظّم الذي ينشأ تلقائيا، ويعتمد على التأثير المتبادل بين الأفراد المشاركين فيه). وهذا السلوك يعمل بآليات، اخطرها :تقديس الشخصيات وصناعة البطل الاستثنائي والقائد الأوحد ، من خلال عدوى العقل الشعبي الذي يستجيب فيه الفرد لأغراءات الجموع التي تتصرف وفقا لما يوحى لها من (الرمز)، فتتراجع شخصية الفرد، حتى لو كان مثقفا، ليتولى اللاوعي الجمعي توجيه سلوكه. وبشيوع سيكولوجيا (الأيحاء) و (العدوى الاجتماعية) تتصاعد حدة الانفعالات في الجموع وتستثار نحو هدف تفرّغ انفعالاتها الجياشة فيه وفق ما يوحى اليها من (الرمز).

فهل تنطبق هذه على السيد مقتدى الصدر وتياره وانصاره. . ذلك ما سنتحدث عنه في الحلقة القادمة.

الحلقة II

تقديم

يرث مقتدى (1974) عن عائلته اعتبارين : ديني كونه من ابرز العوائل الدينية الشيعية في العراق، ورسمي يرثه من جده محمد حسن الصدر الذي كان رئيسا للوزراء عام 1948 وعضوا ورئيسا لمجلس الأعيان زمن النظام الملكي.

هذان الأعتباران يمنحانه هالتين : دينية على صعيد طائفة الشيعة، وسياسية على صعيد الدوله. ومقتدى هو نجل السيد محمد محمد صادق الصدر أبرز رجال الدين الشيعة المعارضين للرئيس الأسبق صدام حسين الذي قتله، ومنها يرث هالة الجهاد التي جسّدها عمليا في الانتفاضة الشعبانية (1999)، وقيادته المقاومة ضد القوات الأمريكية في (2003) التي وضعته على رأس المطلوبين..وصولا الى تأسيسه (سرايا السلام)عام 2014.

وفي الجانب الديني التحق الشاب مقتدى بالحوزة العلمية في النجف عام(1988) وحصل على درجة (حجّة السلام)، ويدرس حاليا في قم للحصول على درجة المجتهد التي تخوله أن يكون مرجعا دينيا وهو ما يزال في السادسة والأربعين من عمره في مسعى لأن يكون خليفة للسيد علي السيستاني.

الديمقراطي، وما حصل هو العكس

قد يبدو اللاوعي الجمعي لكثيرين أشبه بشخص (فاقد الوعي)، غير انه يعمل بآليات توحي بعكس ذلك

يغلّب العقل الانفعالي على العقل المنطقي في سلوك الفرد والجماعة، ويعطّل العقل المنطقي في اوقات الأزمات

يستقطب الناس في مجموعتين متضادتين، جماعة الـ" نحن" التي ينتمي لها وجماعة الـ"هم " الاخرى

يتصف بأنه (أحول عقل). . يرى في الـ(نحن)الايجابيات ويغمض عينه عن السلبيات، ويرى في الـ(هم)السلبيات ولا يرى الايجابيات. . ويخرج بتعميمات خاطئة أن جماعته هي الأفضل في كل شيء

يفهم الصراع على انه (أكون أو لا أكون)، وأنه اما غالب أو مغلوب، ولا يرى الجانب الايجابي في الصراع

يؤمن بفكرة (المخلّص). . وبأنه سيظهر في يوم ما شخص بمواصفات استثنائية يقيم العدل بين الناس

من مفهوم اللاوعي الجمعي هذا ، الذي غفل دوره السياسيون والباحثون، ظهر مفهوم السلوك الجمعي COLLCTIVE BEHAVIOR

هذا السلوك يعمل بآليات، اخطرها :تقديس الشخصيات وصناعة البطل الاستثنائي والقائد الأوحد ، من خلال

ان رجلا بهذه المواصفات التي ينفرد بها عن كل السياسيين الذين تولوا الحكم بعد(2003) قادته سيكولوجيا الى ما نصطلح على تسميه بـ(تضخّم الأنا).. فلنتوقف عنده، ولكن بعد ان نتعرف على آراء عينة من العراقيين.

استطلاع راي

مع أن عينة المستجيبين ليست ممثلة للمجتمع الا انها تقدّم مؤشرات سيكولوجية عن شخصية السيد مقتدى الصدر، حيث توجهنا عبر وسائل التواصل الاجتماعي والبريد الألكتروني بهذا الطلب:

(استطلاع لدراسة علمية : حدد، بموضوعية بعيده عن تحيز مع او ضد، اخطر صفتين سلبيتين، وافضل صفتين ايجابيتين في شخصية السيد مقتدى الصدر.)

شملت عينة الاستطلاع (367) مستجيبا بينهم اكاديميون ومثقفون ومن كلا الجنسين، وفيما ياتي **أهم النتائج:**

الصفات الايجابية:

وتحدد اهمها في الآتي:

- انتسابه لعائلة كريمة
- قدم نفسه قائدا لطبقة الفقراء والمهمشين
- قائد اكثر الحركات الشيعية نفوذا وشعبية في البلاد
- طيب القلب ولكن من السهل (توظيفه نحو الشر)
- شجاع وذكي
- احدث توازنا مقابل الاحزاب الشيعية الاخرى، وهو اطهر من قادتها
- قائد بالفطرة، ولديه كارزما القيادة
- له حنكة سياسية، ويمتلك قابلية تحريك الشارع بسهولة ما يجعله عنصرا فعالا في اي معادلة تطرح على الساحة العراقية سياسيا واجتماعيا
- يحظى بمقبولية اغلب دول المنطقة، ما يجعله عنصرا مؤثرا في الخارطة السياسية
- واضح، لا يعمل بنظام الغرف المظلمة، صريح في كلامه ولديه قدرة تلقائية لكسب مشاعر الناس.
- يتمتع بخاصية عجيبة هي التنقل بين كل الاحزاب والكتل وفرض سلطته.
- ملتزم دينيا (متناقض سياسيا)

الصفات السلبية:

وتحدد أهمها في الآتي:

- متناقض، متذبذب، متعدد الأهواء وكثير التقلبات.
- قراراته سريعه، ولا يركن الى قرار.
- يعيش حالة جنون العظمة.
- ايمانه بسلالة رجال الدين وقدسيتهم جعلته قائدا، الا انه لا يمتلك سمات القائد الرشيد
- فقر فكري، غير منفتح، محدود الأفق، ليست لديه خبرة سياسية، ولا تتوفر فيه شروط القيادة، ولا يعرف ماذا يريد
- شخصية مأزومة، راديكالي ديني متطرف
- وصولي نفعي
- صار في الاحداث الاخيرة بالوجه مرايه وبالكفا سلايه
- تابع لكبار، وانتماؤه ومرجعيته الى ايران

عدوى العقل الشعبي الذي يستجيب فيه الفرد لأغراءات الجموع التي تتصرف وفقا لما يوحى لها من (الرمز)

بشيوع سيكولوجيا (الأيحاء) و (العدوى الاجتماعية) تتصاعد حدة الانفعالات في الجموع وتستثار نحو هدف تفرّغ انفعالاتها الجياشة فيه وفق ما يوحى اليها من (الرمز)

ان رجلا بهذه المواصفات التي ينفرد بها عن كل السياسيين الذين تولوا الحكم بعد(2003) قادته سيكولوجيا الى ما نصطلح على تسميه بـ(تضخّم الأنا)

الصفات الايجابية:
وتحدد اهمها في الآتي:
- انتسابه لعائلة كريمة
- قدم نفسه قائدا لطبقة الفقراء والمهمشين
- قائد اكثر الحركات الشيعية نفوذا وشعبية في البلاد

الصفات السلبية:
وتحدد أهمها في الآتي:
- متناقض، متذبذب، متعدد الأهواء وكثير التقلبات.
- قراراته سريعه، ولا يركن الى قرار.
- يعيش حالة جنون العظمة

لدينا مفهومان متشابهان في علم النفس والطب النفسي هما " تضخّم الأنا " و " قوة ألانا " ينبغي التفريق بينهما

تعدّ الثانية حالة صحية نابعة من الثقة بالنفس والتقدير الموضوعي الواقعي لقدرات وقابليات صاحبها، والمعبّرة عن الاعتزاز الإيجابي بالنفس واحترام الذات

– استعماله منهج العنف ولا يهتم لقتل البسطاء

– تناقضه جعله يخسر مشاعر كثيرين من بينهم اصحابه

– ادرك العراقيون انه اذا استمر في تغريداته فانهم سيكونون من رواد وادي السلام

– لا توجد لديه رؤيا مستقبلية واضحة المعالم وليست لديه استراتيجية

– شخصيته مثل الساعة الصينية التي دوخت انشتاين، فارغه وعطلانه ومن تريد تصلحها ما تعرف من وين تبدي.

مقتدى.. وعقدة تضخّم الأنا.

قدمت لنا نتائج الأستطلاع مؤشرات عن مقتدى الصدر، ومع اختلافها وتناقضها الحاد فأننا نخرج بنتيجة نتفق عليها جميعا هي انه (شخصية جدلية.. وبتطرّف). فلندخل عالم هذه الشخصية.

لدينا مفهومان متشابهان في علم النفس والطب النفسي هما " تضخّم الأنا " و " قوة ألانا " ينبغي التفريق بينهما، اذ تعدّ الثانية حالة صحية نابعة من الثقة بالنفس والتقدير الموضوعي الواقعي لقدرات وقابليات صاحبها، والمعبّرة عن الاعتزاز الإيجابي بالنفس واحترام الذات، فيما يعدّ " تضخّم الأنا " حالة عصابية " مرضيه " لها أسباب متعددة أهمها تراكم الشعور بالاضطهاد والحيف.

وتفيد الدراسات بأن شخصية " الأنا المتضخم " تجمع صفات في " توليفة " من ثلاث شخصيات مختلفة هي: النرجسية والتسلطية والاحتوائية. فهي تأخذ من الشخصية النرجسية حاجتها القسرية إلى الإعجاب..أي إنها تريد من الآخرين أن يعجبوا بها بالصورة التي هي تريدها، وأن لا يتوقفوا عن المديح والإطراء، ويسعى صاحبها الى ان يكون بطلا بعيون جماعته من خلال التظاهر بامتلاكه قدرات فريدة.

ويأخذ صاحب " الأنا المتضخّم" من الشخصية التسلطية، انفعالاتها الغاضبة واندفاعيتها ومزاجها الصارم (قليلا ما يجامل ويبتسم)، وتصنيفها الناس بثنائيات في مقدمتها ثنائية الأصدقاء مقابل الأعداء، أي من كان معي فهو صديقي وما عداه فهو عدّوي، وتصرفها بالتعالي نحو من يعتبرهم اندادا، فيما تأخذ من الشخصية الاحتوائية السعي إلى السيطرة على الآخرين واحتواء وجودهم المعنوي وأفكارهم، سواء بالإبهار أو بأساليب درامية أو التوائية، اوبطرح نفسه كما لو كان الأنسكلوبيدي العارف بكل شيء.

ان الكثير من هذه المواصفات بنوعيها تنطبق على شخصية السيد مقتدى الصدر، وتؤكد لنا بان (الأنا) لديه متضخّم لخمسة عوامل اساسية :

– الهالات الثلاث التي حددناها في اعلاه.

– الجماهير الشعبية التي منحته (القدسية) لدرجة ان عددا منهم يقّبلون سيارته حين يسير في الشارع للتبرك به.

– اقتحامه المنطقة الخضراء الشديدة التحصين في (20 ايار / مايس 2016) برغم تصدي قوات الأمن وأطلاقها الرصاص الحي ووصول انصاره الى مكتب رئيس الوزراء، وهروب معظم قيادات احزاب الاسلام السياسي، ورفعه شعار (شلع قلع) الذي عزف به على اوتار ملايين الفقراء الذين اذلتهم وافقرتهم حكومات بهويات شيعية..ونجاحه في ايصالهم الى منحه صفة (القائد).. وتوليد اليقين لديهم بأنه (المنقذ المخلّص).

– فرض سلطته على سلطات الدولة والأيحاء للناس بأنه هو الأقوى.

– اشتراك الحزب الشيوعي معه في كتلة سائرون، ما يعني ان القوى التقدمية في العراق التي تختلف معه ايديولجيا وعقائديا.. تطلب ودّه ايضا.

ختاما:

فيما يعدّ " تضخّم الأنا " حالة عصابية " مرضيه " لها أسباب متعددة أهمها تراكم الشعور بالاضطهاد والحيف

تفيد الدراسات بأن شخصية " الأنا المتضخم " تجمع صفات في " توليفة " من ثلاث شخصيات مختلفة هي: النرجسية والتسلطية والاحتوائية

تأخذ من الشخصية النرجسية حاجتها القسرية إلى الإعجاب..أي إنها تريد من الآخرين أن يعجبوا بها بالصورة التي هي تريدها، وأن لا يتوقفوا عن المديح والإطراء

يأخذ صاحب " الأنا المتضخّم" من الشخصية التسلطية، انفعالاتها الغاضبة واندفاعيتها ومزاجها الصارم (قليلا ما يجامل ويبتسم)، وتصنيفها الناس بثنائيات في مقدمتها ثنائية الأصدقاء مقابل الأعداء

فيما تأخذ من الشخصية الاحتوائية السعي إلى السيطرة على الآخرين واحتواء وجودهم المعنوي وأفكارهم، سواء بالإبهار أو بأساليب درامية أو التوائية، اوبطرح نفسه كما لو كان الأنسكلوبيدي العارف بكل شيء

ان الكثير من هذه المواصفات بنوعيها تنطبق على شخصية السيد مقتدى الصدر، وتؤكد لنا بان (الأنا) لديه متضخّم

ان ظاهرة السيد مقتدى الصدر نلخصها، سيكولوجيا، بأنه (يختزل الوطن والناس في شخصه).

كل شيء، جماعة، حالة،

ان ظاهرة السيد مقتدى الصدر نلخصها، سيكولوجيا، بأنه (يختزل الوطن والناس في شخصه).. فكل شيء، جماعة، حالة، موقف.. تعزز (اناه المتضخم) فانه يحتويها ويتبناها ويجعلها تتباهى به، وكل من يخدش (أناه) فانه يزدريه، يحقّره، يذلّه.. فأن تمادى استخدم معه القوة المصحوبة بالعنف. ولأن المعيار لدى هذه الشخصية هو (الأنا) فان صاحبها يكون (زئبقيا).. يتحول بسهولة من الضد الى ضده النوعي.. في المواقف السياسية والجماهيرية بشكل خاص.

ومع ذلك فان السيد مقتدى الصدر اكتسب (سلطة الرمز الديني في اللاوعي الجمعي العراقي– الجماهير الشعبية الشيعية تحديدا) بالمفهوم الذي تناولناه في الحلقة الأولى من هذه الدراسة، ولسبب آخر علمي هو غياب قوة وطنية او تقدمية او قومية تنافسه، فوجدت هذه الجماهير المسحوقة في شخصيته انه وطني محب للعراق، وأنه (المخلّص) لأنه (منهم وبيهم)..على صعيد الجماهير الشيعية المسحوقة، وصعيد سلطة أحزاب الأسلام السياسي الشيعي التي خذلتهم وخدعتهم واستفردت بالسلطة والثروة، وأنه قد يفاجأ العراقيين يوما باقتحام الخضراء ثانية ليصبح بطل التغيير والثورة.

اخيرا .

ان هذه الدراسة يعوزها اهم شرط علمي، هو تطبيق اختبارات في علم نفس الشخصية، واجراء مقابلة بحوار مفتوح واسئلة مغلقة على السيد مقتدى الصدر، وانا حاضر لمقابلته (علميا) ان ضمن لي سلامتي من انصاره.

موقف.. تعزز (اناه المتضخم) فانه يحتويها ويتبناها ويجعلها تتباهى به، وكل من يخدش (أناه) فانه يزدريه، يحقّره، يذلّه

ان هذه الدراسة يعوزها اهم شرط علمي، هو تطبيق اختبارات في علم نفس الشخصية، واجراء مقابلة بحوار مفتوح واسئلة مغلقة على السيد مقتدى الصدر، وانا حاضر لمقابلته (علميا) ان ضمن لي سلامتي من انصاره

إرتباط كامل النص:
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocQuassimAuthorityReligiousSymbolpdf

*** *** ***

موسسة العلوم النفسية العربية

معا... نذهب ابعد

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

اشتراكات عضوية مدفوعة لدعم المؤسسة

اشتراكات العضوية بالدفع الالكتروني

1 – عضوية "الشريك الفخري الماسي المميّز"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3

2 – عضوية "الشريك الفخري الماسي"

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3

3 – عضوية "الشريك الشرفي الذهبي "

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3

– اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي (بعد اختيار نوعية العضوية 1 – 2 – 3)

مرفق رابط مستند الهوية البنكية للمؤسسة

www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf

– اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون (بعد اختيار نوعية العضوية 1 – 2 – 3)

Dr. Jamel TURKY (Sfax - TUNISIA)
ARABPSYFOUND President